مانع ، تلك أنثى تشين الأخ والزوج والأب والابن ، فلا يتصل بنسبها رجل إلا لوّثت سمعته وشانت هيبته فالشاعر أصاب منها حيث أراد أن يصيب ، فبلغ الغاية أو كاد .

وذهب كثيرٌ من الشعراء بعيداً فى هذا الهجاء ، فتناولوا زوجات خصومهم وأعدائهم فجعلوا الأمهات عند المهجوين مطية للانتقام ووسيلة للتشفى ، فسقطوا على العورات وسموْها بأسمائها من غير تحرّج أو تأثم ، لعلّ ذلك يشيع بين الناس ويروج ذكر هذه النساء وتدور صفاتهن على الألسنة فيسقط المهجو ويقع فى شرّ هذه الأقوال . ولعلّ من أوقع الشعراء فى هذا الباب شعراء بنى أمية فى العصر الأول ، فقد دار بينهم هجاء ومناقضة ومنافرة وحمىَ بينهم الوطيسُ حتى كان للنقائض فى هذا العصر جولةٌ وصولة ، فملأت الكتب وشغلت الباحثين[1] منذ القديم ، واستهوت الشرّاح .

أما جرير فقد كان شرّهم على الإطلاق ، نال من خصومه فلم يتورّع ، وبسط لسانه فلم يقفه رادعٌ أو وازع . فقد كان بدوياً جافاً غليظَ الطبع ، يتناول السوءة باسمها فيقول فى هجاء التيم :

وَتيميّة خزىٌ محل إزارهـــا .....

وما محلّ هذا الإزار إن لم يكن الشين كله ؟ لقد عرّى المهجوات فى شعره ، وخاصة حين هجا هذه التَّيْميّة فرأى جسدها ووصف موضع العفة منها ، ثم قال فيها :

وَكأنّ عُريَتها إذا واجهْتَها جُعْلان مُكْتَنِفان فَرْخ غُرابِ

ثم خاض فيما بينها وبين بَعلها فوصفَ ما تعافه النفسُ وتأباه الكرامةُ وتردّه العاطفةُ النبيلةُ ، ويستفظعه الشعورُ السليم ، ولن نَروى ما أسفَّ فيه ، ولكننا سنورد ما قاله فى نساء بنى عِقال :

وَجدْنا نِسْوَةً لبنى عِقَالٍ بدارِ الخِزْىِ أغْراضَ الرُّماةِ
غَوَانٍ هُنَّ أخْبَثُ من حَمِيرٍ وأمجَنُ من نِساء مُشرِكاتِ

(١) صدر منذ زمن بعيد كتاب نفيس فى النقائض للأستاذ أحمد الشايب يحسن الرجوع إليه .